

﴿ شعور وعواطف — تابع ما قبله ﴾

ارى امامي انساناً ينامبني العداء لاني اخالفه في دينه . ليت شعوري
ما ضره اني كذلك وديني يحظر علي الشر . ويولي من عقول عتيقة لا تزال
عائشة الى هذه الايام . مالي ولعقول تقادم عهدها . اعبد الفضل فاستريح .
اتخذني ديني فاطمئن . اترود بعبادته فأصل بها يوم الرحيل الى مقابلة ذي
الفضل العظيم . أي ثواب أرجوه من الاله ان عبده لغير فضله . ويولي من
عقاب شديدا ان لم اعبد الفضل

دعني يا انسان اعبد الحجر لفضله ولا اعبد الاله لغير الفضل . دعني
اكون عند الاله اشرف من الذين عبدوه لغير فضله . دعني اعبد القمر لفضله
فانزل الى حفرتي اميناً من كل طارئ . دعني اعبد النار لفضلها فان مثل
هذه العبادة الشريفة تؤهلني لمقابلة الاله . اتركني يا انسان فقد يكفيني ما
الاقى من عذاب الارض . دعني افعل بحسب عقلي فان اصبحت فلنفسى وان
اخطأت فعليها . ماذا يعنيك مني . خلني وشأني لك دينك ولي ديني .
ماذا يعنيك مني . انت تصلي في بيتك وانا اصلي في بيتي فعش معي خارج
البيت لا تصادرني ولا اصادرك . لا تقف في سبيلي ولا تتصدادوني .
اتركني لاجل الله . ماذا يعنيك من ديني . يوجد انسان مثلي يعبد الحجر
فلا تقف في طريقي اخشى ان يسبقني لانه يعبد الفضل

ويولي من حياة ان جدت بي وراء العمل فليس هنالك ، غير ازدحام
دائم وعراك قائم وحوادث تطاردوايام تعاند . وان اقمعتني على اريكة الفخر

بما فات اهيم بحب الذات فلا يرضيني الا وجودي ولا احدث الا عن ديني
 وجدودي . وان سمعت بي وراء المعرفة اتخذت المادة جادة وعبثت بالوجود
 والمعبود وفاتني ان الفضل قوة حيوية مودعة في المادة وان واهب الحياة
 حي الى الابد . وان قادتني بحكم القدر الى جهل يعمي البصر فحدث عن
 شروري وظلمي ولا تسب امي فان الذنب ذنب الارض

يا لك من مجتمع بشري جائر تحظر على الضعيف نصيبه من خيرات
 الارض . يا لك من عمران زاهر انت ظلمة في عيني الضعيف . يا لك من
 مدينة حديثة تتعامن عن رزقي المقبوض عليه ظلماً وعدواناً وتعطيني خماً
 في الشتاء وتلجأ في الصيف وتسمين العطاء احساناً فلا احسن الله اليك .
 يا لك من مدينة خبيثة قد طاب فيك الانتحار للضعيف . يا لك من مدينة
 قائمة تحت اسم العدل واساسك الظلم . يا لك من مدينة يعيش فيك الضعيف
 كما عاش الاسرائيلي قديماً في مصر . يا لك من شرائع لاتعرفن لعرق جبين
 الضعيف ثمناً . يا لك من رزق مغصوب وليس على الارض حكومة تستخلصه .
 يا لك من قوي مغتصب قد خلا لك الجو

ويلي من انسان مثلي يستخدمني لنقل خيرات الارض اليه وهو يأكل
 العجل المسمن وانا آكل القديد واليابس . ويلي من ظالم يبخسني حقوق
 التعاون وهو يتقلب بين الذهب وانا اتقلب على التراب . ويلي من قوي
 يفصني رزقي ويزعم ان الله احبه فاعطاه . ويلي يوم اشكو اليهم الشدة
 ويقولون لي الله كريم . يحتكرون غيث السماء ويعلموني برزق اخر جديد
 من عند الله . يا له من حرمان مقدور وليس للسماء يد فيه

ما اشرف الحياة بك ايها الفضيلة واسعدها وما اشدها شقاء وتعاسة

بدونك . اقل ما فيها ان لم تكوني انت غموم تتناوب على الانسان . يزعمون
 ان لا راحة في الخلق ولو ادركوا معنالك لما زعموا . قد يشعرون بمواهبك
 المؤهلة للراحة ولكنهم قلما يحسبونها باكثر من حسنة يؤتى بها كسهم غرب .
 قد يدركون اللذة الحقيقية الناشئة عن المثابرة على طلبك بيد انهم يجهلون
 ان لهم بك حياة اخرى . هم يقرون بالخلود الا انهم لا يعرفون الها يسأل
 الانسان عن الارض

ويلي من خلود لا اله يحكمه . ويحي من خلود هو فوق الفناء شدة .
 لهني على حياة تفنيها المموم ثم الى عالم فوضى مصيرها . اني لفي حياة هي
 سواء ان اذبت وان تبررت . ويلي من مصير لا فرق فيه بين انسان
 نصفه اله وبهيمة نصفها حجر . يا للخسار العظيم ان استوت نفس الانسان
 ونفس البهيمة . يا لك من حياة مظلمة يستوي فيها الكريم والليث . يا للظلمة
 الابدية ان استوت الفضيلة والرذيلة

لا فرق ايها الظالمون بين هذه اللذة الشريفة التي تسمعون بها وترونها
 في بيوت الفضلاء وبين ملذاتكم الفاسدة التي تحملها اليكم القسوة واللؤم .
 لا فرق بينك ايها اللئيم الذي تدوس الانسانية بنعلك ولا تبالي وليس على
 الارض حكومة تقتص منك وبين هذا الكريم الذي يحتضنها كما تحتضن
 الام ولدها وبوده لو يسع فضل حاجات الناس اجمع . عش على الارض كيف
 شئت ولا حرج فانك اني امن من الوقوع في قبضة اله العدل

يا له من مصير اعد لك يا نفس ان لم يكن في العلياء اله . ويلي من
 حياة عتيقة لا تحكمين فيها ايها الالهة . من يضمن لي الراحة في عالم
 الخلود ان لم تحكمي فيه من قبل الاله . من يخلصني في الابدية من ايدي

الافقياء الظالمين ان لم يكن هنالك يد فوقها كما هي الحال على الارض .
 حبذا الفناء الابدي ولا ارى بعيني خلوداً يحايي الارض في ظلمها . ليتني
 اختفى في اعماق ظلمة ابدية ولا ارى بعيني خلوداً كله شقاء . من يسميني
 فناء بخلود . من يشتريه مني بلا ثمن . من يتباعه بفنائى . لا اريده .
 لا احتمله . لا اطيقه . عيناى لا تراه . يا شمس احرقيني . يا رياح مزقيني
 يا ظلمة اختطفيني فاني لا اريد ان اراه

ويلى من حياة لا يستطيع ان اتصورها بعد الان . ويلى من زمان
 خبيث يريني الوجود كله خيالا . ويلاه . ماذا جئت اعمل في الدنيا . لا اعلم
 لاية غاية ولدت فيها . لا ادري . ليت امي لم تلدني وليتي مت صغيراً
 يالك من شعور يريني فرقاً عظيماً بينى وبين البهيمة وانا مثلها . يالك
 من حياة لا قوام لها غير المادة . يالك من قوة عاقلة كنا نحسبها جوهرأ
 فاذا هي حركة المادة بعينها . يا لعظم زعمكم ايها الماديون فانكم خلصتم به هولاء
 انساكين من الوقوع تارة اخرى في ايدي ظالمهم — اسكني ايتها الحركة
 لعلمهم يصدقون فيما زعموا فاخذ الى فناء ابدي فاستريح . مالي واخلود كله
 شر . فلتنسيني السماء والارض . اموت مع البهيمة فلا يدري بي اخلود .
 اتواري عن ناظره فلا يراني . دع نفسي تنزل الى تحت ونفس البهيمة تصعد
 الى فوق . ماذا يعينني من ظلم معد فقد يكفيني ما لاقيت تحت الشمس
 يموت الضعيف في زاوية بيته قتلاً وقتلوه يمشون في الارض مرحاء
 كثير من الناس يقتلهم الظلم وظالموهم يتمادون في الظلم اكثر . يمر القوي
 بتركبته فيمسك عنه الكناس غبار الارض ونصيبه من خيراتها كسرة
 وعبادة . لست براء على الارض عدلاً واخشى ان يكون اخلود كذلك .

انه ليكون ان لم يكن ثم اله . يا للشقاوة ان تركت داراً ولقيت مثلاً . دع
نفسى تنزل الى تحت ونفس البهيمة تصعد الى فوق . ماذا يعنيني من ظلم
معد فقد يكفيني ما لافيت تحت الشمس

اراني احدث نفسي بلوازم شتى وليس بين ملزوماتها الا كل بلية .
ازول اسباباً متنوعة ولا ارى في مسبباتها الا كل هلكة . ابني لاعمالى مقدمات
صحيحة ولكنى اخطىء في استخراج النتيجة . من هو الانسان الذي تسلم
اعماله من الخطأ . هوذا الفلاسفة حتى الان لا يعرفون مكان الوجود من
الارض وهم اطباؤها افيستطيعون علم السماء وهم يرجعون بالغيب

ابحني يا نفس عن الاله . فتشي عليه في اقاصي السماء . سلى عنه كل من
ترينه في طريقك . فتشي الا كوان كلها واسألني عنه شرائعها . فتشي زوايا
العلماء ومخابئها . سلى البيت عن صاحبه يخبرك . سلى كل موجود ينبئك
لا ترجعي بلا خبر . ابحني عنه فانك لتجدينه كما تجدن كل موجود . ويحك
يا نفس أيفنى الاله وانت تخلصين . أتفنى حياة انت منها وانت تبقين . لئن
فنى الاله فانت لا شك فانية والا فابشري بوجوده فانه لباقي كما انك باقية .
حي هو اسمك ايتها الفضيلة وحي هو الاله الذي منه انبثقت

جرجس خولي

